زينب وليدة الأكارم ...وأم المكارم ....وصاحبة المكرمات (س)



ولدت السيّدة زينب(ع) في المدينة المنوّرة بتاريخ: 5 جمادى الأولى من السّنة الخامسة للهجرة، أي ما يعادل سنة 626 م، وهي الثّالثة بعد أخويها الحسن والحسين(ع).

اشتهرت زينب(ع) بحكمتها ورجاحة عقلها وإيمانها القويّ، وهي الّتي ساندت أخاها الحسين في معركته ضدّ يزيد، وواجهت الطّاغية بجرأة تفوق كلّ حدّ، وجلجل صوتها في مجلسه، واستطاعت بقوّتها أن تحمي ابن أخيها زين العابدين(ع) من بطش يزيد وأعوانه، وأن تحضن أبناء إخوتها الصّغار، وهي الّتي فضحت السّلطة الأمويّة آنذاك، ووضعت نتائج الثّورة على سكّة الانتصار والخلود.

مما قيل فيها : قصيدة في ذكرى ميلاد السيدة زينب الكبرى (سلام الله عليها) للشاعر الأديب السيد محمد رضا القزويني :

وُلدتِ كما يُشرقُ الكوكب فأُمٌّ تُباهي ويَزهو أبُ
عليٌ وفاطمةٌ انجَباكِ عَيناً من الخير لا يَنضبُ
وجاءا بكِ جَدّكِ المصطفى ليختار لاسمكِ ما يُعجِبُ
فقال : ولَستُ ـ كما تَعلَما نِ ـ أسبقُ ربّي بما يَنسِبُ
وهذا أخي جبرئيل أتى بأمرٍ من الله يُستَعذبُ
يقول إلهك ربّ الجلال : تقبّلتها و اسمها زينب
وكفّلتها بأخيها الحسين ويومٍ يَعُزّ به المَشرَبُ
لِتَحملَ أعباءَه كالليوث فيَسري بأطفاله المَركَبُ
أُسارى إلى الشام من كربلا ءَ وسوطٌ على ظهرهم يلهَبُ

مما قالت السيدة زيبنب بنت علي (ع) في مجلس يزيد في الشام

قولها (صلوات الله عليها) : « صدق الله (سبحانه) ، كذلك يقول: « ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ

كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ».

عاقبة كل شيء : آخره، أي: إن آخر الأمر الذي يؤول إليه من أساؤوا إلى نفوسهم بالكفر با وتكذيب رسله، وارتكاب المعاصي و قتل عترته هو السوأى: وهي الصفة التي تسوء صاحبها إذا أدركته، أي عذاب النار.

و كأنها بأبي هي و أمي تقول: لا غروَ يا يزيد إن أنكرت الإسلام والإيمان اليوم بأشعارك المشوبة بالكفر والطغيان، متمنياً أن يشهد انتقامك من بني هاشم الكرام من قُتِل في بدر من أسلافك الكفرة اللئام ، فقد قال أصدق القائلين ومن ليس فوق كلامه كلام:" ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ".

وأما قولها: «أظننت ـ يا يزيد ـ حين أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، واصبحنا نساق كما تساق الأسارى، أن بنا هوانا على ا، وبك عليه كرامة»؟!

فقد انصب على تفنيد تصور يزيد المحدود الفكر، والقصير النظر، الذي اعتبر أن الانتصار في الحرب دليل على كونه على حق، وعلى قربه من ا (تعالى)، وكرامته عنده (عز وجل)، فاستولت عليه نشوة النصر والظفر، وتضخم في نفسه الطغيان والتجبر والكبر.

فشرعت في نسف هذا التصور الكاذب بمخاطبته (سلام ا عليها) باسمه

الصريح لا بما غصبه من ألقاب تشير الى الخلافة أو الى إمرة

المؤمنين، لتلفت انتباهه الى عدم اعترافها بخلافته.
ثم استرسلت بوصفها لحالها، وأحوال من معها من العائلة المكرمة،

وكيف أنهم كانوا في أشد الضيق، كمن أخذوا عليه -أي: منعوه- من

جميع الجوانب وحاصروه من كل الجهات، فلم يتركوا له منفذاً

للخروج من وضعه، ولا يمكنه التخلص مما هو فيه.
ومن بعد التضييق والتشديد أصبحنا نساق كما تساق الأسارى الذين

يأتون بهم من بلاد الكفر عند فتحها، في طابور واحد طويل، وقد

كان جميع أفراد العائلة المكرمة، بما فيهم الإمام زين العابدين

والسيدة زينب (عليهما السلام) مربوطين ومكتفين بحبل واحد!.
فلا تظنن يا يزيد ونحن على هذا الحال من الضعف، أنه ليس لنا جاه

ومنزلة عند ا، لأننا مغلوبون، وأنك على هذا الحال من القدرة و

السيطرة، أن لك عند ا جاهاً وكرامة فمكّنك من الظفر بنا و

النصر علينا، فقتلت رجالنا، وسبيت نساءنا!
الى أن قالت:« فمهلاً مهلاً، أنسيت قول ا (عز و جل): « ولا

يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم، إنما نملي لهم

ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين».
ومهلاً: أمهل، ولا تسرع، أي: تمهل يا يزيد، فالأمر ليس كما تعتقد

وكما تتصور، فلا تعجل حتى نبين لك حقيقةً الأمر.
فإن ا (تعالى) أعدل من أن يترك مجرماً بلا عقاب، ولا يقدم

ظالماً الى الحساب، وإنما يُطيل للظالمين المدة والمجال، لا

حباً بهم ولا خيراً لهم أو منه (سبحانه) إهمال، وإنما ليزداد إثمهم وليُملأ سجلهم بالمعاصي وقبيح الفعال، ليجزيهم يومئذ ا العادل المتعال، الخلود في العذاب الأليم والعقاب المهين وبئس المآل.

وأما قولها:« ووشيكاً تشهدهم ولن يشهدوك »

أي: لا تطول أيام حياتك، و عما قريب سيزول ملكك، وسريعاً وعاجلاً ستموت، وتنتقل إلى عالم الآخرة، وبما أنك وأسلافك على شاكلةٍ واحدة من الكفر والعصيان ،والفجور والطغيان، فإنك لن تلبث طويلاً حتى تلحق بهم في جهنّم فتشهدهم في العذاب المهين، ولكنهم لا يرونك، أي: لا تجتمع معهم في مكان واحد؛ لأن جرمك قد فاق جرمهم أضعافاً مضاعفة، فتستحق عليه من العذاب الأشد، وسيكون مقرك في دركة أسفل منهم في طبقات نار جهنّم، فتراهم حين نزولك إلى ذلك المكان الأسفل، فتراهم ولكنّهم لا يرونك.

وقد رُوي عن رسول ا (صلى ا عليه وآله) أنّه قال:« إنّ قاتل الحسين بن علي .. في تابوت من نار، عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شُدّت يداه ورجلاه بسلاسل من نار، مُنكّس في النار، حتى يقع في قعر جهنّم، وله ريحٌ يتعوّذ أهل النار إلى ربهم من شدّة نتنه، وهو فيها خالد ذائق العذاب الأليم، مع جميع من شايع في

قتله، كلّما نضجت جلودهم بدّل الله (عز وجل) عليهم الجلود حتى يذوقوا العذاب الأليم، لا يُفَتّر عنهم ساعة، ويُسقَون من حميم جهنّم، فالويل لهم من عذاب الله تعالى في النار».

وقد تجلى العدل الإلهي في عبارتها الغاية في العمق والبلاغة «ووشيكاً تشهدهم ولن يشهدوك» بدقة بالغة حيث إنها لم تتعرض الى العدل الجزائي كما في عباراتها السابقة وحسب، بل و أشارت الى دقة العدل الالهي، حيث إن الله (تبارك وتعالى) وإن أدخل الظالمين والكافرين نار جهنم، إلا أنه لا يضعهم في دركة واحدة من دركات جهنم، بل يضع كلاً منهم في الموضع الذي يستحق من العذاب، والدركة التي تناسبه من العقاب.

وأما دعاؤها (عليها السلام) على يزيد ومَن شاركه في ظلم آل رسول الله الطيّبين الطاهرين بقلبها الملتهب بالمصائب، حيث قالت:« اللهم خُذ بحقّنا، وانتقم من ظلمنا، واحلُل غضبك على من سفك دماءنا، ونقضَ ذمارنا، وقَتلَ حُماتنا، وهتك عنّا سدولنا» فهو بحد ذاته قولٌ بعدل الله (عز وجل)،وإلا كيف يتوقع من غير العادل أن يقتص من الظالم وينتقم للمظلوم؟

وقولها (عليها السلام):«ولتردن على رسول الله بما تحمّلتَ من سفك دماء ذريّته، وانتهاك حرمته في لحمته وعترته، وليخاصمنك حيث يجمع الله (تعالى) شملهم ويلم شعثهم ،ويأخذ بحقهم ».

أي سترِد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم القيامة حاملاً

على ظهرك من الجرائم العظام والمعاصي الجسام ما لا تحملها الجبال الرواسي، فيُخاصمك حينئذٍ على كل جريمة أشدّ أنواع الخصومة. وسيجمع الله (تعالى) آل الرسول الأكرم(صلى الله عليه و آله) عنده (عليه و آله أفضل الصلاة و أزكى السلام) في جبهة واحدة فيَشكو كلّ واحد منهم (عليهم السلام) إلى النبي الكريم كلّ ما لقيَ من الناس مِن عداءٍ وظلم .
وقد جسد قولها (عليها الصلاة والسلام):«وحسبك بالله وليّاً وحاكماً، وبرسول الله خَصماً، وبجبرائيل ظهيراً»(8) العدل الإلهي بأوضح معانيه، وأجلى صوره، حيث أشارت الى عقد محاكمة عدل إلهية مكتملة الأطراف من أجل إنصاف المظلوم من ظالميه.

فالله (تعالى) هو وليّ الدم، والآخذ بالثأر، لأن الإمام الحسين (عليه السلام) هو: وصيّ رسول الله، وسيّد أوليائه (عز وجل)، فمن الطبيعي أن يكون (جل جلاله) هو الطالب بثأره، والوليّ لدمه. وهو الشاهد لمصيبة قتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وهو أيضاً القاضي والحاكم، وهو (سبحانه) يَعرف عظمة المقتول ظلماً، وهو يعلم أهداف ودوافع القاتل .
وقد روي عن الصحابي ابن عباس أنّه قال: «لمّا اشتدّ برسول الله (صلى الله عليه وآله) مرضه الذي مات فيه، حضَرتُه وقد ضمّ الحسين إلى صدره، يسيل من عرَقه عليه، وهو يجود بنفسه ويقول: «ما لي وليزيد! لا بارك الله فيه، اللهم العن يزيد». ثمّ غُشيَ عليه

طويلاً وأفاق، وجعل يُقبّل الحسين وعيناه تذرُفان ويقول: أما إنّ لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله».

وقولها (عليها السلام):«فلئن اتّخذتنا مغنَماً، لتجدُنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك، وأن الله ليس بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى وعليه المُعَوّل».

أي إنّك قد أمرت بأسرنا، وعاملتنا أنت وأعوانك معاملة السبايا والغنائم الحربيّة، ولكنك قريباً عاجلاً ستجد نفسك محاصراً بالمعاصي التي اقترفتها بحقنا، مُثقَلاً بالذنوب التي عليك دفع ضريبتها في محكمة العدل الإلهية، حيث تحاول الدفاع عن نفسك، ولكنك لن تجد معك إلا ما يُدينك من الجرائم الفظيعة والجنايات الشنيعة، فيحكم الله (تعالى) عليك بما قدمته يداك لأن الله ليس بظلام لعبيده، بل سِمتُه العدل، ولذا فإنما شكوانا من ظلمك وطغيانك إليه والاستعانة به.

ومن العدل الإلهي أن الله (تعالى) قد يعجّل العقوبة على بعض المعاصي الكبيرة في الحياة الدنيا، وهذا ما أشارت إليه الصديقة الكبرى في قولها:« وأيّامك إلا عدد ». أي إنك سوف لن تمكث في هذه الدنيا طويلاً، إذ إن عمرك بعد قتلك للإمام الحسين (عليه السلام) ومن معه لن يكون إلا قليلاً. وبالفعل فقد أثرت جريمة قتل الإمام الحسين (عليه السلام) تأثيراً سلبيّاً واضحاً في مقدار عمره، فقد جاء في التاريخ (أنّ يزيد عاش بعد فاجعة كربلاء سنتين

وشهرين وأربعة أيام) .
وكما إن العدل الإلهي يقتضي أن يعاقب العاصي لعصيانه، و يعذب الطاغي لطغيانه، فإنه أيضاً يقتضي أن يجزى المحسن بالإحسان، و يثاب من أطاع الله (تعالى) بالخلود في الجنان. و يمكننا أن نلمس هذا المعنى في قولها (عليها السلام):« فالحمد لله الذي حَكَم لأولنا بالسعادة والرحمة، ولآخرنا بالشهادة والمغفرة »
وليس عجباً أن تحمد الله (تعالى) الصديقةُ الصغرى، فقد قدّمت أخاها قرباناً لله (عز وجل) بعد أن رأته ذبيحاً من القفا، مقطعاً أوصالاً على رمضاء كربلاء، بكل صمود وإباء على الرغم من رقة قلبها العطوف، وحبها المنقطع النظير لأخيها الرؤوف.
ومن يقرأ كلمات السيدة الطاهرة (عليها السلام) يجزم بأنها لم تكن تنظر الى الأحداث بعين ملكية كسائر البشر، بل إنها قد قرأت الأحداث بعينها الملكوتية كأولياء الله و من اصطفاهم،
ولِمَ لا؟! وهي المعصومة بالعصمة المكتسبة، وهي العالمة غير المعلمة، ويتضح ذلك جلياً من قولها "الذي حكَم لأوليائه بالسعادة " فأي سعادةٍ يا مولاتي، وأجسادهم مقطعة الأعضاء، ورؤوسهم مرفوعة على القنا؟ لولا رؤيتك لباطن الأحداث وحقيقتها، و لعلها قصدت السعادة الأبدية.
ولذا فلقد كان العدل الإلهي يتجسد أمام ناظريها بحيث إنها لم تكن ترى الجريمة إلا ورأت عقابها معها، ولم تكن ترى الظلامة إلا ورأت ثوابها معها؛ لإيمانها المطلق بالعدل الإلهي، فلا غرابة إذن

إن تجلى العدل الالهي في كلماتها (سلام ا عليها) فلقد نبعت من قلبها الذي تجسدت فيه جميع العقائد الحقة، وتشكلت فيه جميع ما شاهدت وما رأت وما عانت ولكن بهيئتها الملكوتية .

وكان من فضلها واعتصامها با تعالى، أنّها قالت: "مَنْ أراد أن لا يكون الخلق شفعاءه إلى ا فليحمده؛ ألم تسمع إلى قوله: سمع ا لمَنْ حمده؟ فخف ا لقدرته عليك، واستحِ منه لقربه منك".

وممّا يدلّ على مزيد فضلها، أنّها كانت تنوب عن أخيها الإمام الحسين (عليه السّلام) في حال غيابه، فيرجع إليها المسلمون في المسائل الشرعيّة. ونظراً إلى سعة معارفها، كان الإمام زين العابدين (عليه السّلام) يروي عنها، وكذلك كان يروي عنها عبد ا بن جعفر، والسيّدة فاطمة بنت الإمام الحسين (عليه السّلام).

ولمّا كانت في الكوفة في أيّام أبيها، كان لها مجلس خاصّ تزدحم عليها السيّدات، فكانت تلقي عليهنّ محاضرات في تفسير القرآن الكريم، كما كانت المرجع الأعلى للسيّدات من نساء المسلمين، فكنّ يأخذنَ منها أحكام الدّين وتعاليمه وآدابه.

ويكفي للتّدليل على فضلها، أنّ ابن عباس حبر الأمّة، كان يسألها عن بعض المسائل التي لا يهتدي لحلّها، كما روى عنها كوكبة من الأخبار، وكان يعتزّ بالرواية عنها، ويقول: "حدّثتنا عقيلتنا

زينب بنت عليّ".

وقد روى عنها الخطاب التأريخي الّذي ألقته اُمّها سيّدة النساء فاطمة (عليها السّلام) في جامع أبيها (صلّى ا عليه وآله).

وقد نابت عن ابن أخيها الإمام زين العابدين (عليه السّلام) في أيام مرضه، فكانت تجيب عمّا يرد عليه من المسائل الشرعيّة، وقد قال (عليه السّلام) في حقّها: "إنّها عالمة غير معلّمة".

وكانت ألمع خطيبة في الإسلام؛ فقد هزّت العواطف، وقلبت الرأي العام، وجنّدته للثّورة على الحكم الأموي، وذلك في خطبها التأريخيّة الخالدة التي ألقتها في الكوفة ودمشق، وهي تدلّل على مدى ثرواتها الثقافيّة والأدبيّة.

من الشعر المنسوب اليها

وذكر المؤرخون ان للسيدة زينب ابياتا من الشعر، فمما قالت:

تمسك بالكتاب ومن تلاه* فاهل البيت هم اهل الكتاب
بهم نزل الكتاب وهم تلوه* وهم اهل الهداية للصواب
امامي وحد الرحمن طفلا* وآمن قبل تشديد الخطاب
علي كان صديق البرايا* علي كان فاروق العذاب
شقيقي في القيامة عند ربي* نبيي والوصي ابو تراب
وفاطمة البتول وسيدا من* يخلد في الجنان من الشباب

ونبارک مولد السيدة زينب بنت علي (ع) ملتفى فضائل اهل البيت عليهم السلام جميعا
كفى بزينب فخرا انها اخذت من علم جدها رسول ا .. ومن شجاعة ابيها علي.
ومن صلابة امها فاطمه .ومن حلم اخيها الحسن.ومن جهاد اخيها الحسين ..
فاصبحت ملتفى فضائل اهل البيت عليهم السلام جميعا .

اعداد وتدوين
علي اكبر بامشاد